نحن شركاء في المسؤولية -٢-

الأستاذ عصام العطار

من أَعْجَبِ الْعَجَبِ أنّك لا تجد في بعض اللغات الغربية المهمّة كُتُباً ومراجعَ أمينة معتمدة تكفي للتعريف بالإسلامِ : عقائدِه ، وعباداتِه ، وقِيَمِهِ وأخلاقِه ، وسائرِ تعاليمه .. والتعريفِ برسولِه ، وتاريخِهِ ، ورؤيةِ المؤمنين به لقضايا عالمهم وعصرهم ، ومواقفهم من قضايا العالم والعصر .. بأسلوب علميّ موضوعيّ سهل يفهمه الإنسان الغربيّ ويفهمه كلُّ إنسان

أَلَيْسَ عجيباً أن يُقَصِّر المسلمون في البلاد العربية والإسلامية حَتّى الآن في هذا الواجب الديني الكبير ، والعمل الضروريّ الحيويّ الخطير .. رغم الاحتكاك المستمرّ ، والتشابك المستمرّ ، والصراع والنـــزاع والاتصال والتواصل المستمرّ بين العالم العربيّ والإسلاميّ وبين الغرب ، على مدًى من الزمن طويل طويل ، ورغم كلّ المصالح الدينية والدنيوية الكبيرة التي تَقْتَضيه وتُمْليه

أَليسَ عجيباً بعد هذا الاتصال والتواصل ، والتشابك والترابط بين العالم العربيّ والإسلاميّ والغرب ، بَلْ هذا التواصل والترابط بينَ أجزاءِ العالمِ كلّه بعدَ ثورةِ الاتصالات والمواصلات ، وعجائبِ التكنولوجيا المتوالية المذهلة ، وحاجةِ الدولِ جميعاً والبشرِ جميعاً إلى تعارفٍ أصدق وأوثق وأَعمق ببعضهم البعض .. أليسَ عجيباً أنّك لا تجد في هذا الوقت ، وفي هذه الظروف ، في أكثر اللغات

الغربية مائةَ كتاب ، بل خمسينَ كتاباً ، بل أقلَّ من ذلك بكثير ، تُعَرّفُ بالإسلام من يرغبون أو يحتاجون معرفةَ الإسلام ، تعريفاً أميناً بصيراً جيّداً موثوقا

وقد أفسح ذلك لسوء الحظّ مجالاً لكتب جاهلة ، أو حاقدة مغرضة ، تسيء – عن حسن قصد أو سوء قصد – أبلغَ الإساءة للإسلام ، وتشوّه من صورته وتضلّل عن حقيقته ، بما لا يخطر – أحياناً – ببال

هل عَجَزَ العالـــمُ العربيّ على الخصوص ، وعجزت بعضُ حكوماته التي ملكت مئاتِ مليارات ومئاتِ مليارات الدولارات ، وأنفقت أو بذّرت مئاتِ المليارات ومئاتِ المليارات .. هل عجزت هذه الحكومات ، وعجزت مؤسّساتُ العالم العربيّ والإسلاميّ الكبرى ، على امتدادِ عشراتٍ وعشراتٍ من السنين ، عن تفريغِ أو توظيفِ عدد مناسب من العلماء والمفكّرين والمثقفين المسلمين المختصّين المؤهّلين الغيورين ، الملمـــيّن بفكر الغرب وثقافة الغرب وواقع الغرب ، ليعملوا منفردين أو مجتمعين بشكل من الأشكال المناسبة ، لتأليف هذه الكتب الضروريّة ، وأن تُتَرْجَمَ هذه الكتب إلى مختلف اللغات الحيّة ، أو إلى أهمّ هذه اللغات .. وأن يَسْتَمرّ بعد ذلك العمل ، ويَتَّصل الجهد العلميّ والفكريّ والثقافيّ الحيّ المتجدّد القويّ للاستجابة الحيّة المتجدّدة القويّة السريعة لمختلف الحاجات والتحدّيات الراهنة أو المقبلة

ألا ما أشدَّ قصورَ العرب والمسلمين بحقّ دينهم وحقّ أنفسهم وحقّ الإنسانيّة والإنسان!

وهذا الذي كان على العرب والمسلمين أن يعملوه قبل عشراتِ السنين وعشراتِ السنين .. تشتدُّ إليه الحاجةُ الآن أكثرَ من أَيِّ وقتٍ مضى ، وتتوفّر

أسبابُه ودواعيه ووسائلُه أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى ، ويؤثّر في حاضرهم ومستقبلهم ، وحاضرِ علاقاتِهم ومستقبلِ علاقاتِهم بغيرهم من الناس أبلغَ تأثير

إنّنا ندعو العرب والمسلمين ، حكوماتٍ وشعوباً ، إلى الشعورِ بمسؤوليتهم الدينيّة والحضارية والسياسيّة والتاريخيّة ، والنهوضِ الجادّ العاجل بهذه المسؤوليّة الكبيرة الخطيرة في هذا الأمر الكبير الخطير

ولعلّ جامعة الدول العربيّة ومنظمة المؤتمر الإسلاميّ ، ولعلّ المؤسسات الدينيّة والثقافيّة والإعلاميّة الرسميّة والشعبيّة ، ولعلّ العلماء والمفكرين والكتّاب والمؤلفين المؤهلين .. لعلّ هؤلاء جميعاً يبادرون بكلّ ما يملكون من طاقة وجهد إلى تحقيق هذا المشروع وغيره من المشروعات الضروريّة النافعة في هذا المجال وفي كلّ مجال تمسّ إليه حاجةُ الإسلام والمسلمين

مسؤوليتنا في الغرب

أما المسلمون المواطنون في الغرب ، أو المقيمون إقامة دائمة أو طويلة في الغرب ، فمسؤوليتهم عن التعريف بالإسلام ، وجلاء صورته الحقيقيّة المشرقة من خلال سلوكهم وعلاقاتهم ، وتقدُّمهم ومشاركاتهم – في حدود إسلامهم – في مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة ، ومجالات الخدمات الاجتماعيّة والإنسانيّة وحقوق الإنسان .. أكبرُ أو من أكبر المسؤوليات

وقد سبق لنا أن تحدثنا طويلاً عن مسؤوليات المسلمين الخاصّة والعامّة في الغرب ، وعن كيفية النهوض بها على المدى القريب والبعيد ، وعمّا يلزمهم لذلك من استعدادات ومؤهلات وصفات وجهود ، كما تحدثنا عن واجبهم

الكبير الخطير في تحقيق تعارف أصدق ، وتفاهم أعمق ، وتعاون أوثق – قَدْرَ الإمكان – بين المسلمين والغرب ، وبين الغرب والمسلمين ، بما يعود بالنفع والخير على الجانبين ، وعلى الإنسانية جمعاء ..

لقد سبق أن تحدثنا عن ذلك كلّه طويلاً ، فلا نريد أن نكرّر ها هنا هذا الحديث ؛ ولكننا نريد أن نلفت بسرعة وإيجاز مِنْ أمور كثيرة إلى **أمرين اثنين** :

أحدهما : أن نُسْهِم بكلّ إمكاناتنا في حلّ الأزمة الراهنة – أو محاولة حلّ الأزمة الراهنة – بما ينصف الحقَّ والعدل والرسولَ ﷺ ، وحريةَ الفكر والرأي ، ويُعَمّقُ التفاهم والتعاون ، ويحقّق الوئام والسلام والمصلحة الإنسانيّة العليا في الحاضر والمستقبل

ثانيهما : أن تتكاتفَ جهودُنا وتتكاملَ وأن نبادرَ بسرعة – وأكثرُ الغربيين يتشوّفون الآن إلى معرفة أفضل بالإسلام ونبيّ الإسلام – إلى تعريفهم بما يتطلّعون إلى معرفته بغاية الأمانة والصدق ، وأحسن الوسائل والأساليب

ذلك حقُ إسلامنا علينا

ذلك حقُ مجتمعاتنا الغربية علينا

ذلك حقُ الإنسانية والإنسان

قال رسول الله ﷺ لأصحابه :

« إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً (أَيْ لجميع الناس) فَأَدُّوا عَنِّي يَرْحَمُكُمُ اللَّه »

سيرة ابن هشام